إعادة توظيف العناصر المعمارية التقليدية في المسكن الحجازي المعاصر

إعداد

أ. حنان حجازي

معيدة في جامعة أم القرى

كلية الفنون والتصميم الداخلي

قسم السكن وإدارة المنزل

مجلة بحوث التربية النوعية – جامعة المنصورة

عدد خاص (٢٠) – فبراير ٢٠١١

إعادة توظيف العناصر المعمارية التقليدية في المسكن الحجازي المعاصر

إعداد

أ. حنان حجازي*

الملخص

يركز البحث على دراسة وتحليل العناصر المعمارية في المسكن التقليدي والتي نتجت عن تطبيق مبدأ الخصوصية في المسكن وتركزت على عنصري الفناء الداخلي والروشان كأهم عنصرين يخدمان مبدأ الخصوصية في المسكن .

كما يركز أيضا على دراسة الأسباب التي أدت إلى ندرة هذين العنصرين من المسكن الحجازي المعاصر مع عرض لبعض الأفكار والحلول التي طبقت بأسلوب يتماشى مع التطورات العمرانية الحديثة ، ويهدف البحث إلى إيجاد حلول منهجية يمكن من خلالها الوصول لمعالجات معمارية تطبق العناصر المعمارية التقليدية وتوأمتها مع المساكن المعاصرة لتحقيق مبدأ الخصوصية .

* أستاذ التخطيط والإدارة التعليمية - كلية التربية النوعية بالمنصورة

Research summary

RE-EMPLOYMENT THE ELEMENTS OF TRADITIONAL ARCHITECTURAL IN HEJAZI HOUSING CONTEMPORARY

Hanan Hejazi

The research focuses on the study and analysis of the architectural elements in traditional housing, which resulted from the application of the principle of privacy in the home and focused on the elements of the inner courtyard and Roshan as the most important elements serve the principle of privacy in the home.

It also highlights the study of the causes that led to the scarcity of these two elements of the dwelling alfalfa contemporary with a display of some of the ideas and solutions that have been applied in a manner consistent with developments in modern urban, and the research aims to find solutions to the methodology through which to access the processor architecture implements elements of traditional architecture and its twin, with housing contemporary To achieve the principle of privacy

إعادة توظيف العناصر المعمارية التقليدية في المسكن الحجازي المعاصر

إعداد

أ. حنان حجازي*

تقديم :

يمثل التراث حياة كاملة تشمل الفكر والعقائد والممارسات والطاقات الفردية والجماعية وتجسيدا لحوارية الإنسان مع الطبيعة بكل معطياتها ، ففيه تكمن الأصالة وبه يتحقق الاستمرار ومنه تكون المعاصرة ، وهي الأسس الثلاثة التي لابد منها في مقولة التطور . فالتراث تعبير صادق عن الوحدة والاستمرارية والخصوبة وهو بلك يمثل شيئا مسبقا وأوليا وختاميا فهو يسبق كل توليفة تكوينية ويستمر في البقاء بعد كل تحليل نقدي وفكري عميق .

إن عدم احترام التراث هو اعتراف بعدم الأصالة وعدم وجود جذور للكيان الحاضر . وبقدر ما تكون حياة الإنسان هي استمرارية للماضي وامتدادا له بقدر ما تكون الرموز المعمارية التراثية والقيم المستحدثة في الماضي ما زالت تحمل لهذا الإنسان دلالات لهوية الحاضر ، فتسخير هذه الرموز والقيم بلغة الحاضر بمقوماته وحيثياته المختلفة يتمكن الإنسان من التعبير عن خصوصياته المعاصرة واستنباط أشكال مبتكرة لتكون بداية الطري نحو تأصيل القيم المعمارية والعمرانية في الوقت الحاضر والانطلاق المتوازن نحو المستقبل لنؤكد بذلك العمارة التراثية الإسلامية على صفتها المعاصرة . (عشي ، ١٩٩٩م ، ص ٢)

وقد زخرت العمارة التقليدية في منطقة الحجاز بالعديد من العناصر والوحدات المعمارية التي لازمت نشوءها وتطورها ، وكان وراء وجود كل عنصر من هذه العناصر فكر معين وفلسفة خاصة به ، والأفنية الداخلية والرواشين من أهم هذه العناصر التقليدية التي لهما الأثر البالغ الأهمية في التغلب على مشاكل المناخ والبيئة ولهما أهميتهما الاجتماعية والدينية والجمالية النفسية والصحية مما جعل لهما مكانة هامة في المساكن الحجازية التقليدية . وكان القاسم المشترك فيهما هو تحقيق الخصوصية للساكنين في المقام الأول والذي يدور حول مفهومه هذا البحث.

فإن مسألة السترة أو الخصوصية هي أهم قيمة دينية واجتماعية وثقافية نحس بفقدانها من خلال التصادم بين نماذج مبانينا المستوردة وسلوكنا اليومي ، فقد تطورت المباني في ظل الفكر الغربي الذي قلص أو غيّب دور القيم الإسلامية والأخلاقية في حياة المجتمع الحجازي فأصبحت المساكن نموذجا مفتوحا على الخارج لا يعير اهتماما كبيرا لمسألة السترة والخصوصية . (بن حموش ، ٢٠٠٦ م ، ص ١١٠)

* معيدة في جامعة أم القرى - كلية الفنون والتصميم الداخلي - قسم السكن وإدارة المنزل

لذلك فإن معالجة المشكلات المعمارية في المسكن المعاصر تتطلب إعادة لدراسة وصياغة وتوظيف العناصر المعمارية التقليدية التي كان هي الحل المناسب للبيئة المحيطة وإيجاد حلول وأنماط معمارية تتلاءم مع الفكر الحديث في العمارة والتصميم .

مشكلة البحث :

إن تحقيق مبدأ الخصوصية في المسكن الحجازي المعاصر هو من أهم الأمور التي يجب أن يراعيها المصمم المعماري في عملية التصميم وذلك من خلال معالجة الفراغات في المسكن بأسلوب يناسب هذا المبدأ ، لكن ما نجده الآن في المساكن المعاصرة هو عدم تحقيق الخصوصية ، ويرجع ذلك للانفتاح الفكري نحو الغرب وتقليد أنماط جديدة ليس لها موروث محلي ولا تناسب مجتمعنا المسلم.

وقد كان للعمارة التقليدية الحجازية تميز واضح في تحقيق مبدأ الخصوصية ، ويعتبر الفناء الداخلي والروشان من أهم العناصر التي تحقق هذا المبدأ بالإضافة إلى بعض العناصر الأخرى لكن هذين العنصرين يعتبران الأكثر أهمية وتميزا في العمارة التقليدية حيث أن فراغات المسكن الأخرى تتمحور حول الفناء الداخلي أما الروشان فهو يعتبر وسيلة الصلة لسكان المنزل مع المحيط الخارجي للمسكن .

وتتمحور مشكلة البحث في التساؤل التالي :

هل يمكن إعادة صياغة وتوظيف العناصر المعمارية التقليدية في المسكن الحجازي المعاصر بما يتناسب مع التطور المعماري ويحقق الخصوصية في آن واحد ؟

هدف البحث :

يهدف هذا البحث بشكل رئيسي إلى إيجاد حلول منهجية يمكن من خلالها الوصول لمعالجات معمارية تطبق العناصر المعمارية التقليدية وتوأمتها مع المساكن الحجازيةالمعاصرة لتحقيق مبدأ الخصوصية .

منهجية البحث :

لتحقيق أهداف البحث سوف تتبع الباحثة المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال تناول النقاط التالية :

- مفهوم الخصوصية وأهمية تحقيقها في المسكن
- الفناء الداخلي والروشان كأهم عنصرين من العناصر المعمارية التقليدية لتحقيق الخصوصية .
- المسكن الحجازي المعاصر وأسباب غياب العناصر المعمارية التقليدية في تصميمه .
- أساليب تأصيل العمارة التقليدية في المسكن الحجازي المعاصر
- نماذج وأمثلة لإعادة توظيف الفناء والروشان في المسكن الحجازي المعاصر .

الخصوصية : Privacy

تعريف الخصوصية لغويا :

تعرف الخصوصية بصورة عامة على أنها القدرة على التحكم في اقتراب الآخرين من الشخص أو تقديم معلومات عن النفس .

وتنطوي الخصوصية على اختيار الانسحاب من مواقف الاندماج مع الأشخاص الآخرين وكذلك القدرة على التحكم في مقدار التفاعل الذي نرغب في إقامته معهم . (الطياش ، ١٤٢٧ هـ ، ص ٥٩)

الخصوصية في العمارة :

تعني الخصوصية في العمارة " التفرد " بصفات معينة تنبع من الهوية وتميز مجتمعا معينا بعمارة لها شكل ولون وتكوين وذاتية ومواد بناء نابعة من ثقافة وتقاليد وبيئة المجتمع . وقد دللت البحوث والدراسات على أن خصوصية العمارة الإسلامية هي أنسب الصيغ المعمارية وأكثرها ملائمة لنا حيث الاستفادة بمنافع المباني واتساقها مع المناخ والظروف البيئية والاجتماعية السائدة . إن المناداة بخصوصية العمارة يهدف أساسا إلى العودة إلى العمارة الإسلامية العربية والبعد عن تقليد العمارة الغربية إلا أن هذا المفهوم ما زال يصطدم بمفهوم آخر هو المعاصرة واستخدام التقنيات المعمارية الحديثة التي جاءت أصلا من الغرب . (الطياش ، ١٤٢٧ هـ ، ص ٢٤٥)

أهمية مبدأ الخصوصية في المسكن :

تعتبر الخصوصية المعيار الأكثر فاعلية عند تصميم المنزل ويحرص الساكن على أن يكون هناك عزل تام بين الرجال والنساء دون المساس بوظائف فراغات البيت المختلفة لذا فالمنزل التقليدي والمنزل الحديث لا يخلوان من تكرار الفراغات . فمثلا يوجد غرفتي إستقبال واحدة للرجال والأخرى للنساء لتحقيق العزل بين الجنسين بالإضافة إلى العزل في المداخل ومراعاة اتجاه فتحات الشبابيك كي لا تطل على الجار أو لا يرى الجار من بداخل الغرف من خلال الشباك لذا انتشرت السواتر المعدنية أو الخشبية لحجب الرؤية من الخارج للداخل . بالإضافة على تغطية فتحات الشبابيك بالستائر السميكة (الطياش ، ١٤٢٧ هـ ، ص ٢٤٥)

وفي مجال التصميم المعماري للمسكن فقد تعرض لتغير كبير نتيجة للسبب الرئيسي الأساسي وهو عملية التطور والتغريب الذي حصل في البلاد العربية وما يتبعه من أسباب فرعية أخرى . فلقد تم استبدال نظام البيت المفتوح على الداخل ووجود الفناء في قلب المنزل الذي كان يتميز به المنزل العربي التقليدي محققا الخصوصية التي يتطلبها نظام العائلة العربية واستبداله بنظام الانفتاح على الخارج الذي تفتح فيه حجرات المعيشة على المنازل المقابلة والشارع والضجيج . واستبدل الروشان وهو العنصر الأكثر تميزا في المسكن التقليدي في المنطقة الغربية بالشبابيك الزجاجية التي لم تكن حلا معماريا صحيحا في البيئة الإسلامية المحافظة . وترتب على ذلك على ذلك ضرورة وجود أسوار عالية وإحكام إغلاق النوافذ الزجاجية وتغطيتها بالستائر الثقيلة لتأمين الخصوصية الأمر الذي أدى إلى حجب الضوء وتيارات الهواء من غرف المنزل . وهذا التغيير في شكل البيت قد أدى إلى تغيير كامل في حياة ساكنيه وانعدام الألفة بينهم وبين منزلهم وأدى إلى اختلال لوظائف فراغاته وفقد القيم التي يقوم عليها لتوزيع الفراغات وعناصر المبنى ومن ثم وظائفه مما أدى إلى

اختفاء وطمس للمعاني الرمزية التي كانت تشكل معظم عناصر البيت حيث تم استبدال مكونات البيت التقليدية إلى مكونات جديدة لا قيَم لها ولا معاني رمزية تربطها بحياة الساكن وتقاليده وعاداته . (حمودة ، ١٩٨٧م)

ولا يخفى الضرر الذي لحق بالمجتمع جراء هذا التغيير في كل جوانب الحياة وما صاحبه من فقدان المجتمع لهويته التقليدية وضياع هوية المدينة التي كانت مصدرا هاما للقيم والمعاني الرمزية . وما نطالب به الآن هو محاولة إعادة تلك القيم واكتشاف للمعاني الرمزية داخل محيط حياة المجتمع ومن خلال فراغات مسكنه . إن ما نعيشه الآن هو واقع لا نستطيع إنكاره أو التملص منه ويجب علينا مجاراة هذا التطور وقبوله لأن كل التيارات تسير مع هذا الواقع وتؤكد استمراريته . بالإضافة إلى إبراز الجوانب التراثية ودراستها واكتشاف معانيها الرمزية وكيفية تطويعها مع الحاضر وذلك خوفا من فقدان لكل تلك القيم الأصيلة . (الطياش ، ١٤٢٧هـ ، ص ٣٧)

مفهوم المسكن المعاصر :

- **المفهوم العلمي :**

المعاصرة تعني واقع معيشتنا للحاضر والمستقبل ومدلول المعاصرة بالنسبة لفن العمارة هو التفاعل المتجدد للفكر المعماري مع نمو الحياة المستر . فالعمارة كالكائن الحي ، حياتها مرتبط بديناميكية الوجود الكلي . فإذا تخلفت عن معاصرته تجمدت وفقدت روح الحياة . ومفهوم المعاصرة العلمي لا يعني الحداثة والرقي حيث نرى كثيرا من الأعمال التي تعتبر ناجحة في بلد وغير ناجحة في بلدان أخرى نتيجة عدم توافق هذه الأعمال مع مناخ وموقع تلك البلدان وعادات وتقاليد وأسلوب حياة أهلها . (الطياش ، ١٤٢٧ هـ ، ص ١٠١)

- **المفهوم الشكلي :**

إن المفهوم الشكلي المقصود بالبيت المعاصر في هذه الدراسة يعني الفيلا الموجودة ضمن قطعة أرض بسور يتخلله عدد من البوابات وهذا البيت عادة مؤلف من طابقين ومحاط من الخارج بفراغ ارتدادي يفصل بينه وبين حائط السور مسافة لا تقل عن المترين .

- **المفهوم الزمني :**

هي المساكن التي تم بناؤها في الأربعين سنة الأخيرة والتي خرجت بأشكالها عن النظام التقليدي السائد قبل هذه الحقبة الزمنية .

الفناء الداخلي :

- **تعريف الفناء الداخلي لغويا :**

أجمعت التعاريف اللغوية للفناء على أنه إما الباحة التي تتوسط كتلة المبنى أو المساحة التي تمتد من حوله إلا أنه بإضافة كلمة "داخلي" يتخذ البناء المعنى الأول ويعرف عندئذ الفناء الداخلي بأنه الباحة التي تتوسط المبنى .

- **تعريف الفناء الداخلي معماريا :**

هو الفراغ الداخلي المفتوح للسماء والذي ينغلق عليه المبنى التقليدي الإسلامي ، وتحيط به الغرف والفراغات المختلفة في المبنى ، وله العديد من الخصائص والمزايا ليس على مستوى المبنى فقط وإنما على المستوى العمراني العام للمدينة . (عشي ، ١٩٩٩ م ، ص ١١ ، ١٢)

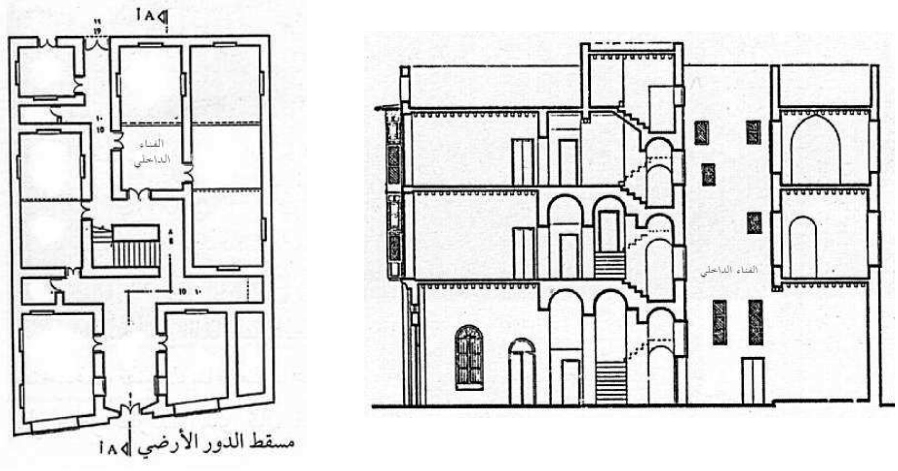

شكل رقم (١) يوضح موقع الفناء الداخلي في أحد مساكن مكة التقليدية

أهمية الأفنية الداخلية في المساكن التقليدية :

اكتسبت الأفنية الداخلية في المساكن التقليدية وجودها وتشكيلها من المنبع الأساسي لحضارة الإسلام ، حيث اعتبر التوجه نحو الداخل حيث الأفنية الداخلية من أهم الأسس التي قام عليها الفكر المعماري العربي بعد الإسلام وذلك انعكاسا لاهتمام المسلم بجوهر الأمور وليس بظاهرها ، فشكلت هذه الأفنية حلقة رابطة مميزة لمعظم العمائر التقليدية ، فانتظمت حولها العناصر المختلفة متمتعة بخصائصها ومميزاتها العديدة (شكل ٢). (والي ، ١٩٩٢ م)

شكل رقم (٢)

إن هذا التوجه للداخل إنما هو مفهوم إسلامي يوجه مشاعر الإنسان المسلم إلى داخله غير المرئي والمملوء بالهدوء والسلام بعيدا عن النظم الهندسية والعقلانية الصارمة الخالية من المشاعر . (رأفت ، ١٩٩٧ م)

وتتلخص الأسس والمعايير التصميمية للأفنية الداخلية في النقاط التالية :

١. يمثل الفناء الداخلي قلب المسكن التقليدي وواحدا من أهم العناصر المعمارية في تصميمه وتشكيله .
٢. يتخذ الفناء الداخلي في البيت العربي أهميته باعتبار المكان الذي ينعم فيه أفراد الأسرة بالخصوصية والأمان ويمارس فيه نشاطاتهم وأعمالهم المختلفة بالإضافة إلى أنه يعد مكانا مريحا للعب الأطفال والإشراف عليهم .
٣. تستمد الفراغات المعمارية التي حول الفناء التهوية والإنارة وتتصل معظم عناصر المسكن بالفناء اتصالا مباشرا كالأروقة والايونات والمقاعد والشرفات . (عشي ، ١٩٩٩ م ، ص ٨٣)
٤. ارتباط وتفاعل الإنسان مع الطبيعة وما خلفه هذا التفاعل من استقرار نفسي وبعد عن التوتر والانزعاج حيث حقق الخروج إلى الطبيعة من الفراغات الداخلية والتمتع بها بصريا من الداخل متعة التناقض بين المقفل والمكشوف والتمتع بالخضرة التي هي في ألوانها راحة للنفس.
٥. ملائمة المساكن ذات الأفنية الداخلية لشروط البيئة والمناخ في المنطقة العربية وذلك بتحقيق أكبر مساحة ممكنة من الظلال وتنظيم الحرارة وتأمين التهوية الطبيعية وتحقيق أكبر قدر ممكن من الراحة الحرارية أثناء النهار والليل حسب التغيرات المناخية خلال فصول السنة .
٦. تعمل النباتات والأشجار في الفناء الداخلي على زيادة الرطوبة بطرحها لبخار الماء عن عملية التمثيل الضوئي والنتح والذي بدوره ينقص حرارة الهواء الملامس له ويلطف الجو بالإضافة إلى تخليص الهواء من ذرات الغبار العالقة به ، وتؤدي المسطحات المائية في الفناء نفس الدور فتزيد الرطوبة وتبرد الهواء المار فوقها وتزداد فعالية هذه المسطحات كلما تم تحريك المياه فيها كاستخدام النافورات .
٧. الحماية من الضوضاء وذلك لبعد الفناء عن الشوارع الخارجية والجوار ووجود أكثر من عازل يفصله عن مصدر الضوضاء والتلوث السمعي .
٨. إضفاء لمسة جمالية داخل المسكن حيث أصبح كحديقة مصغرة تزخر بالظلال والأشجار والنباتات والمياه الجارية والهدوء .

مميزات الفناء الداخلي في المسكن الحجازي المعاصر :

إن احتواء البيت على فناء داخلي مكشوف قابل للتغطية له عدة مميزات للمسكن وساكنيه فهو يحقق الخصوصية لساكني البيت ويعطي التهوية الجيدة والضوء الطبيعي للفراغات المجاورة دون أن يضطر ساكني المنزل بالاستعانة بالفتحات الخارجية للمبنى ، بالإضافة إلى أن الفناء

الداخلي يمد الساكن بمرونة استخدام الفراغات المجاورة للفناء - في حال عدم عزل الفناء الداخلي بالزجاج عن الفراغات المجاورة – وهو بذلك يؤمن الإرتباط البصري والنفسي والفراغي لفراغات البيت المحيطة بالفناء الداخلي . أيضا نجد أن وجود فكرة الفناء الداخلي تُمَكِّنْ المصمم المعماري من وضع تصاميمه بيسر وسهولة كما تعطيه فرصة توجيه الفراغات الداخلية لابتكار تصميم محلّي الصبغة .

أسباب تغير مفهوم الأفنية الداخلية في المسكن المعاصر :

تأثرت الأفنية الداخلية (باعتبارها إحدى عناصر المسكن التقليدي) بالتغيرات الفكرية والتغريب العمراني الذي تعرضت له أغلب المدن العربية وطال العمارة فيها فتغير مفهومها واختلفت تفاصيلها وأشكالها وتأثرت استخداماتها ووظائفها وفي أحيان كثيرة فقدت أهميتها ومسببات وجودها والتي أمكن تحديدها في النقاط التالية :

١. التغير في مفهوم تصميم المسكن من (التوجه إلى الداخل) إلى (التوجه إلى الخارج) وذلك بعد انبهار العرب بالطرز الغربية وتقليدها حرفيا .
٢. التحرر الاجتماعي وتناقص الاهتمام بخصوصية الأسرة وبذلك فقدت الأفنية الغاية منها اجتماعيا .
٣. صغر المساحات المخصصة للبناء ووجود الارتدادات حول المنزل حسب أنظمة وتشريعات البناء الحديثة وبالتالي فإن الفناء الداخلي سيشكل عبئا على مساحات الغرف والفعاليات الأخرى في المبنى .
٤. تأثير التقدم الصناعي والتكنولوجي في تنظيم الحرارة والتهوية والترطيب مما أفقد الفناء الداخلي أهميته في المحافظة على برودة المبنى .
٥. في بعض المساكن التي احتوت على الفناء الداخلي نجد أنها منعزلة عن الفراغات المجاورة بزجاج عازل ووجود مدخل واحد للفناء وذلك رغبة من أصحاب المنزل في حفظ برودة الفراغات المجاورة وخوفا من دخول الغبار والأتربة لأرجاء المنزل ، فنجد بذلك أن فراغ الفناء الداخلي لم يخدم ساكني المنزل بل بالعكس أصبح عائقا ويأخذ مساحة لا يستفاد منها في البناء الاستفادة الأمثل خصوصا في الأبنية المتعددة الطوابق .

شكل رقم (٣) الروشان في أحد بيوت جدة التقليدية

الروشان :

تعريف الروشان في اللغة :

اختلفت المصادر في أصل كلمة روشان ومدى اشتقاقها فهناك من رجح أن الكلمة من أصل فارسي مستنداً إلى القاموس الفارسي الذي أورد كلمة (روشن) وتعني مضيء أو متلألئ أي المكان الذي يتلألأ فيه الضوء (حسنين ، ١٩٨٢ م ، ص ٣٠٨) . كما أن كلمة روشندان في الفارسية تعني المكان الذي يدخل منه النور ، وهناك من رجح أن كلمة روشان ترجع إلى الأصل الهندي (روشاندان) فكلمة "روشان" تعني الضوء وكلمة "دان" تعني معطي أي " معطي الضوء" (حريري ، ١٩٩١ م ، ص ١٨٤)

الروشان في العمارة :

يعرف الروشان بأنه دكة ذات نوافذ تعمل في الفتحات الخارجية للمسكن ويعتبر أهم مجلس في المنزل وهو عبارة عن دكة مبنية من الحجر توضع لها نوافذ كبيرة من الخشب بحيث تدخل الهواء من ثلاث جهات وتستعمل لها نوافذ خشبية مزدوجة متحركة بحيث تتحرك السفلى إلى تحت والعليا إلى فوق (شكل ٤ـ٥) (مغربي ، ١٩٨٢م ، ص ٧٨) ، وفي تعريف آخر ان الرواشين في منطقة الحجاز هي عبارة عن نوافذ بارزة إلى خارج المبنى ومغلفة ومحاطة بسواتر خشبية مزخرفة ، وتبنى هذه الرواشين من هيكل خشبي بارز ممتد من الجدار للخارج ويركب على الفتحات بعد تجهيزه وتصنيعه بالزخارف المرغوبة ، ويترك بلونه الطبيعي وقد يدهن بالطلاء أو يصبغ في بعض الأحيان (المرحم ، ١٤٢١ هـ ، ص ١٧٨،١٧٧)

وقد اشتهرت بلاد الحجاز بصناعة الرواشين وتزيين المساكن والمباني العامة به وأصبحت الرواشين صفة مميزة لهذه المباني التي اتسمت بالعراقة والفن المعماري المتأصل .

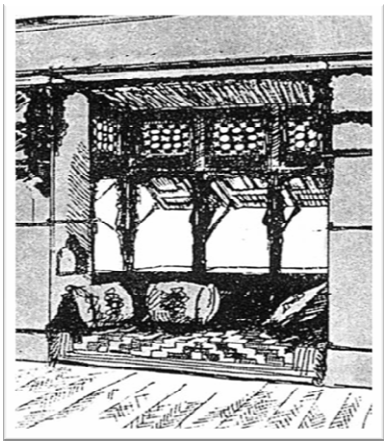

الوظائف النفعية والجمالية للرواشين :

تمثل الرواشين في المساكن التقليدية قيمة فنية وجمالية عالية بالإضافة إلى قيمة وظيفية كبيرة ، حيث أنها أصبحت مَعلَماً متميزا في المساكن التقليدية في الحجاز وتتلخص هذه الوظائف فيما يلي :

١. تحقيق الخصوصية لأهل المسكن فهي تعتبر منظور شرعي ومظهر اجتماعي هام ، فقد صممت هذه النوافذ الخشبية البارزة بحيث تسمح لسكان المنزل خاصة السيدات برؤية ومتابعة ما يحدث في الشارع أسفل المبنى دون التعرض لأعين المارة (إسماعيل ، ١٩٨٩ م ، ص ١٨٩) كما أنها تحقق التفاعل الطبيعي بين أفراد المسكن وبين المجتمع والبيئة الخارجية المحيطة بالمسكن فهي تتيح للساكن استخدام حواسه (السمع والبصر والشم) في معرفة ما يدور من نشاطات وفعاليات في محيط المسكن بسهولة ويسر .

٢. تكامل الشكل مع الوظيفة وذلك مع تطور الشكل الجمالي للروشان حتى صارت أناقته مضرب الأمثال ، كما صممت الدرف الخشبية بحيث لا تشوه المظهر الجمالي عند فتحها أو غلقها لأداء الوظائف المختلفة .

٣. التحكم في كمية الإضاءة الداخلية حيث أن وجود الروشان على واجهات المساكن يحجب أشعة الشمس عن الواجهة وأيضا يخلق منطقة ظل تساعد على تلطيف درجة الحرارة الداخلية . كما أن الزخارف والحليات المخروطة في الروشان يشتت من تركيز أشعة الشمس داخل الغرف .

٤. تحقيق المرونة في حركة الهواء للفراغات الداخلية والخارجية حيث تعمل أجزاء الروشان كطبقات ترشيح للهواء والغبار معاً ، كما أن اتساع المساحة المكشوفة من الروشان مع المظلة يجعل الهواء الداخلي يتحرك ببطء فلا يحمل سوى القليل من الأتربة .

٥. إن الشكل العام للرواشين بتكامل أجزاءه وتفاصيله وزخارفه يعتبر عمل فني رائع لما فيه من براعة ومهارة يدوية في صنعها ، كما أن تنوع أشكاله دليل على الإبداع وحب الابتكار في تنفيذه .

٦. الاتساع الذي يحققه الروشان للفراغ الداخلي فإن كبر حجم الروشان يؤثر على التصميم الداخلي من حيث استغلاله كمركز رئيسي للغرفة توضع به الدكة أو الجلسة.
٧. كما يستفاد من قاعدة الروشان في وضع القُلل الفخارية لتبريد الماء بطريقة طبيعية من خلال مرور الهواء حولها ولذلك سمي الروشان في بعض الدول العربية بـ "المشربية" ، وهو بذلك يحقق غرضين وهما توفير الرطوبة لوجود عنصر المياه ومكان آمن لحفظ المياه الصالحة للشرب .

أسباب اختفاء الرواشين في المساكن المعاصرة :

يمكن تلخيص أسباب اختفاء الرواشين من واجهات المباني في العمارة المعاصرة إلى عدة نقاط:

١. التغير الحضاري الشامل الذي عاشته المملكة على وجه العموم والانبهار بالطرز الغربية المستحدثة وعدم القناعة بما هو تقليدي مما أدى في النهاية إلى فقدان الطابع المميز للعمارة المحلية .
٢. تطور مستوى المعيشة وإدخال عناصر جديدة لم تكن موجودة في السابق . فالنوافذ الزجاجية بشفافيتها وإحكام إغلاقها للفتحات أصبحت حلا نموذجيا لدى المعماريين في تصميم المساكن المعاصرة . خصوصا أن متطلب التبريد داخل المسكن أصبح مطلباً أساسياً ، كما ارتفع مستوى النظافة العامة حيث لم يعد ممكنا قبول دخول الغبار أو الحشرات عن طريق الفتحات الصغيرة للروشان .
٣. ارتفاع كلفة تصميم الرواشين . فعدم توافر الحرفيين الذين يتقنون هذه الصنعة وعدم دخول هذه الصنعة في مجال التصنيع الآلي أدى إلى كثرة الطلب على هؤلاء الحرفيين وبالتالي ارتفاع أجورهم بشكل باهظ .
٤. توفر التكنولوجيا الحديثة من تبريد للهواء وإضاءة داخلية قللت من أهمية الروشان في المسكن فأصبح وجوده يقتصر على الناحية الجمالية أكثر من الناحية الوظيفية .
٥. إيجاد عناصر معمارية جديدة كالشرفات والبلكونات التي اعتبرها المعماريون بديلا للروشان وعامل انفتاح للمبنى نحو الخارج بدلا من الداخل . (حريري ، ١٤١١هـ ، ص ٢٠٤)

تأصيل مفهوم العناصر المعمارية التقليدية في المسكن المعاصر :

تعتبر الدعوة لإحياء القيم المعمارية في التصميم المعاصر جزء لا يتجزأ من الدعوة الشاملة لإحياء القيم الحضارية الأصيلة والمتوارثة عبر الأجيال . ففي التراث تكمن القيم والمثل ومن خلاله يتم التعبير عن تاريخ المجتمع المحلي ومراحل تطور حضارته ، وفيه تتمثل الصلة المادية والمعوية التي تربط العصر الراهن بالسلف الماضي . فكلما امتد التراث في عمق التاريخ كلما ازدادت أهميته وأصالته وتحول إلى قيم مميزة تمثل منابع الإيحاء والإلهام في العصر الراهن. (بهنسي ، ١٩٨٧م)

ويقول المهندس حسن فتحي في إحدى كتاباته : إن محاولة ربط العمارة التراثية بالمعاصرة سواء بالنقل أو الإقتباس أو التطوير بما يتلاءم مع متطلبات العصر باحتياجاته المادية والمعنوية هي من أولى مسئوليات المعماري العربي ، حيث يتوجب عليه الرجوع إلى النقطة التي انقطعت فيها سلسلة

تطور العمارة التقليدية ليتمكن من وصل ما انقطع من هذه السلسلة ، ولتحديد عوامل التغير واستخلاص الثوابت الصالحة من الميراث الحضاري المعماري ، ليعيد صفة المعاصرة إلى عمارته في الوقت الحاضر . هذه العمارة التي ستصبح في المستقبل هي التراث وهي مصدر الإيحاء والإلهام فيه . (الزيني ، ١٩٩٠)

هل تتناسب العناصر المعمارية التقليدية مع المساكن المعاصرة ؟

في مجتمعنا الحجازي المعاصر تعمل عدة عوامل اجتماعية و حضارية في اتجاهات مختلفة تقودها دوافع مختلفة ، وتكمن المشكلة هنا في عدم قدرتنا على إيجاد طريقة مشتركة تجمع هذه العوامل والعمل في توحيدها والتوافق فيما بينها .

ونجد أن العامل المشترك في كافة التصاميم المعمارية الموجودة اليوم هو "التقليد" Imitation ، وهو يعتبر ظاهرة فطرية موروثة تعتمد على الاستنساخ وتكرار الأشياء والتي تساعد مستقبلا على الابتكار . وقد اعتمدت العمارة الحجازية التقليدية على مبدأ المحاكاة والتقليد مع تميز واضح في تطويع العناصر المعمارية لتكوين عمارة موحدة خاصة بهم وليست لسواهم ومن هنا تأصلت العناصر المعمارية الحجازية وبرزت أهميتها ، فأصالة العمارة تنبع من الأسلوب الذي يتعامل به الأفراد مع مبانيهم وذلك عن طريق توزيع فراغات المبنى على حسب احتياجات ساكنيه .

وتعتبر مشكلة الأصالة في المساكن الحديثة مشكلة العصر حيث أننا بدأنا اليوم نواجه التطور الهائل في العلوم والاقتصاد وحتى في البنية الاجتماعية للشعوب ، فتاريخيا نجد أن مصمم المسكن هو ساكنه الذي ألّف حضارته وحضارة مجتمعه ومتطلبات حياته ، وكانت النتيجة اتصال واستمرار بين الشكل المعماري ومراحل تكونه بين الظاهر والباطن ، بين المعنى والمضمون ، أما اليوم فإننا فقدنا هذه الصلة بين الشكل والاستخدام .

وعليه فإن الأصالة في العمارة لا يمكن تحقيقها عن طريق إعادة بناء الشكل المعماري فقط أو عن طريق استخدام المفهوم المعماري القديم كمرجع لكن لابد أن تُرى من منظور "المراحل" و"علاقتها" وتطورها مع بعضها البعض .

- **كمراحل ونظام** : أن الأصالة تعبير عن صفة أو خاصية لكل عنصر معماري في المبنى .
- **كعلاقات** : أن الأصالة هي تأكيد قوة الصلة بين المجتمع والعالم الذي نعيش فيه .

لذلك لا يمكن تحقيق الأصالة المعمارية من خلال النسخ أو المحاكاة والتقليد للعناصر المعمارية القديمة لأن الأصالة هي أصلا المصدر الذي يعطي معنىً للشكل المعماري . فمثلا نجد أن الاستخدام المستمر لعنصر معماري في التراث القديم كان يعكس قوة التفاعل والصلة بين الشكل ومستخدميه وهو بذلك كان يعني ارتباط قوي بين روحانية السكنى في البيت وبين المسكن كمبنى . فقد كان الحجازي القديم يبني مسكنه ليؤكد وجوده في الكون وليعبر عن مشاعره وطموحاته وطريقة حياته وعلاقاته مع مجتمعه ، وبالتالي فقد استقت أشكاله المعمارية معانيها من خلال

استخدامه لهذه الأشكال بهذا المفهوم ، وقيمة هذه الأشكال اعتمدت على حاجة الحجازي القديم لها في حياته اليومية (Jomah ، ١٩٩٢)

وإذا أخذنا نموذج الروشان كمثال للأصالة باعتباره أكثر الأشكال المعمارية الحجازية تقليدا ونسخا ومحاكاة نجد أن الروشان في العمارة التقليدية عبّر عن أصالته بأسلوب رائع ، فالروشان وُلِدَ كوحدة تحكم في الهواء والغبار والضوء ودرجات الحرارة وحدود الملكية ، وليكون متنفساً وأماناً لسيدات البيت دون أن يلمحهم من بالخارج ، ومكانا لجلوس رب الأسرة في الصباح وللنوم وقت الظهيرة ، ولاستقبال الضيوف وخلافه . وعليه فإن الروشان في مكان ولادته بهذا الشكل كان على اتصال يومي بأفراد الأسرة وجزءا لا يتجزأ من حياتهم اليومية .

لكن اليوم ظهرت وسائل تقنية أكثر قدرة على التحكم في الهواء والغبار ودرجة الحرارة والضوء وبالتالي فقد الروشان أهميته أمام هذه الوسائل الحديثة وأصبح يستخدم للزينة فقط بلا معنى ولا مضمون ، هنا نجد أن العلاقة بين الشكل المعماري ومستخدمه تكاد تكون معدومة تماما ، وفي نفس الوقت نجد أن هناك تحول من مراحل تكوين الروشان فبينما كان شكل الروشان القديم ينبع من استخداماته المتعددة نجد أنه اقتصر شكل الروشان على الشكل العام فقط وبالتالي كان من السهل أن يفقد حتى الشكل قيمته بحيث أصبح بلا معنى لمستخدمه أو للناظر إليه .

ومن هنا نستنتج أننا إذا رغبنا في تكرار ونسخ للعناصر المعمارية التقليدية فإننا يجب أولا دراسة هذه العناصر المعمارية ومدى ملائمتها للمسكن الحديث من حيث الشكل والوظيفة وتطويعها مع استخداماتنا اليومية ووضع معايير في أسلوب تطبيقها لتعبر عن أصالتها وتميزها دون تطبيع للأشكال فقط .

معايير تطبيق العناصر المعمارية التقليدية في المسكن الحجازي المعاصر :

يذكر (عشي ، ١٩٩٩م) بعض المعايير التي يجب أن تطبق في الأفنية الداخلية المعاصرة لتحقيق أكبر استفادة ممكنة في المساكن الحجازية المعاصرة لتتلاءم مع متغيرات وتطورات العصر الحديث :

١. أن يكون التوجه العام والرئيسي للحياة في المبنى المعاصر متجها نحو الداخل .
٢. أن يمثل الفناء قلب المسكن المعاصر ونقطة البداية في تصميمه وتشكيله .
٣. أن تكون مساحة البناء كافية لممارسة الأعمال والأنشطة داخل المسكن المعاصر وأن لا يتحول لمنور سماوي فقط .
٤. أن يحاط الفناء من جميع جهاته بالعناصر والوحدات الهامة في المبنى والتي تفتح عليه لتحقيق أكبر استفادة ممكنة من خصائصه ومميزاته .

يمكن أن تغطى الأفنية الداخلية بسواتر زجاجية شفافة أو شبه شفافة متحركة أو ثابتة حيث تفتح أو تغلق تبعاً للأحوال المناخية أو البيئية وأيضا لتحقيق أكبر استفادة ممكنة من الإنارة الطبيعية (شكل ٦).

شكل رقم (٦) تغطية الفناء الداخلي بالزجاج للحفاظ على المبنى
من الأحوال الجوية مع الاستفادة من الإنارة الطبيعية

أما بالنسبة للمعايير التي يجب أن تطبق في تصميم الرواشين في المسكن الحجازي المعاصر ليحقق أكبر استفادة ممكنة :

١. استخدام عنصر الزجاج في الروشان له أهمية كبيرة في تطويره وتطويعه مع المسكن المعاصر فهو أصبح ضروريا لتلافي دخول الغبار والحشرات وللحماية من العوامل المناخية
٢. إدخال عنصر الروشان في الصناعة الآلية يقلل من تكاليفها الانشائية الباهظة ويعطي لها معايير في القياس والبناء كأي عنصر آخر للمسكن .
٣. تطوير شكل الروشان وتبسيط أشكاله بما يتناسب مع البيئة المحيطة فلم تعد الزخارف الثقيلة في المسكن مرغوبة لدى المجتمع الذي انبهر بالتبسيط واستخدام الأشكال على طبيعتها كما تنادي التيارات الفكرية الحديثة .

شكل رقم (٧) تبسيط لشكل الروشان ، شكل مقترح من تصميم الباحثة

نماذج وأمثلة ناجحة لتوظيف العناصر المعمارية التقليدية في المسكن الحجازي المعاصر :

١ـ شركة مكة للإنشاء والتعمير :

يعتبر توظيف عنصر الروشان في أبراج شركة مكة للإنشاء والتعمير نموذجا رائعا في تبسيط شكل الروشان وإدخال عنصر الزجاج فيه مع إمكانية التحكم في مستوى الإنارة الطبيعية للغرف بعمل ستارة من شرائح خشب من الخارج يمكن فتحها وغلقها حسب الحاجة

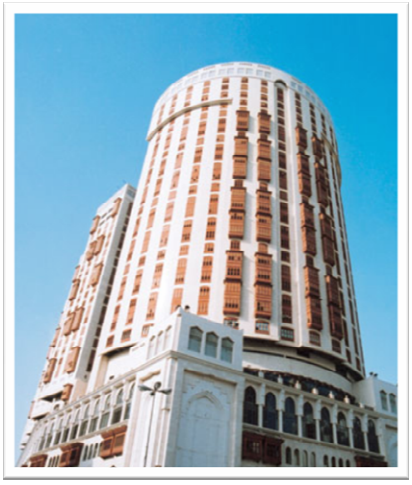

شكل رقم (٨) شركة مكة للإنشاء والتعمير

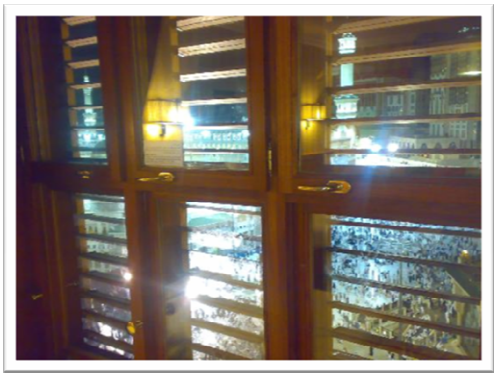

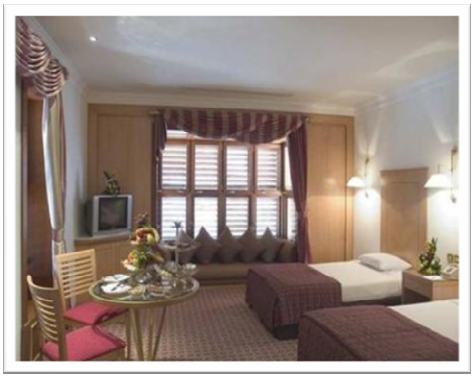

شكل رقم (٩) شكل الروشان من داخل الغرف في شركة مكة

وتظهر الستائر الخشبية من خلفها منظر الحرم المكي

٢ـ مؤسسة مكيون للتطوير العمراني :

انطلقت هذه المؤسسة عام ١٤١٧ هـ من خلال بعض المتخصصين المكيين وصممت العديد من المشاريع واعتمدت رسالتها على التطوير العمراني على أسس علمية حديثة تراعي الأصالة العربية و الإسلامية، وتحرص على الاستفادة من الخبرات والقدرات المعمارية والتخطيطية المتميزة، وتوفر الراحة والسعادة للأسرة بأنسب التكاليف، وتعنى بالمسكن باعتباره أحد الضروريات الأساسية للفرد .

وتتبنى المؤسسة المعايير التالية في التصميم :

١. مناسبة التصميم لنمط الحياة الإسلامية والاجتماعية المحلية
٢. ملائمة التصميم للبيئة المحيطة .
٣. الابتكار في التصميم واستخدام المواد وتقنية البناء المحلية
٤. الاهتمام بالتفاصيل المعمارية الوظيفية فضلا عن الزخرفة .

شكل رقم (١٠) تصميم لمؤسسة مكيون وتظهر الرواشين في المنازل بشكل مبسط ومتناسب مع العناصر المعمارية الأخرى

٣ـ مسكن في جدة يتوسطه فناء داخلي :

اعتمدت فكرة الفيلا على توجيه اغلب الفتحات للفراغات الداخلية للمبنى لفناء يتوسط داخل الفيلا مع الاتصال بالفناء الخارجي من جهة واحدة وبذلك حقق المبنى خصوصية لساكنيه والاستفادة من عنصر الفناء الداخلي بأفضل أسلوب ممكن ، مع استخدام عنصر النبات والمياه لتجميل الفناء الداخلي فأصبح الفناء حديقة داخلية للفيلا تعطي الشعور الأمثل للترويح عن النفس .

شكل رقم (١١) تصميم للفناء الداخلي في مسكن معاصر في جدة

٤ ـ مسكن في جدة من تصميم مكتب الخريجي للاستشارات الهندسية :

يعبر هذا المسكن عن فضاءات تقليدية وتعبير جمالي معاصر وهو يجمع في تصميمه عدة عناصر معمارية تقليدية وتوظيفها بأسلوب يتماشى مع إيقاع العصر . حيث توسط الفناء الداخلي المبنى وتمت تغطيته بقبة لها فتحات زجاجية مع وجود العنصر المائي داخل الفناء واطلالة فراغات المنزل على الفناء الداخلي .

شكل رقم (١٢) تصميم للمسكن من الخارج وتظهر أشكال الرواشين التقليدية

بالإضافة إلى تبسيط لشكل الروشان وإعطاءه المظهر العصري المريح في الاستخدام . نجد في تصميم هذا المسكن الجمع بين القديم والحديث في أسلوب متناغم سلس وسهل الاستعمال ويخدم أفراد المنزل في أمورهم اليومية بشكل طبيعي .

شكل رقم (١٢) شكل الفناء الداخلي داخل المسكن
ومسقط أفقي لموضوعه بين فراغات المنزل المختلفة

النتائج :

مما سبق يمكن استخلاص النتائج التالية :

١. إن تحقيق مبدأ الخصوصية في المسكن هو من أهم الأمور التي يجب على المعماري مراعاتها في تصميم المسكن ويتضح من العمارة التقليدية الاهتمام الكبير لهذا المبدأ وبرز في أغلب مبانيها بأشكال مختلفة

٢. يفتقر المسكن المعاصر للعناصر المعمارية التقليدية وذلك لعدة أسباب أهمها الانفتاح الكبير والتطور الاقتصادي والانبهار بالفن الغربي بجميع أشكاله .

٣. إن تحقيق الأصالة في المسكن لمعاصر لا يكون بتكرار العناصر المعمارية التقليدية ولكن يجب توأمتها مع الواقع الحديث لتكون تيسيرا وتسهيلا لأمور حياتهم وليس تكرار لأشكال فارغة من المعنى فقط لإعطاء مظهر جمالي وإبراز الفخامة .

٤. نجد في النماذج الحديثة للمساكن الحجازية أنها احتوت على عنصر أو عنصرين من العناصر التقليدية وتم تبسيط أشكالها لتتوافق مع الأسلوب الحديث في التصميم . وبذلك تكون قد أعادت للعناصر التقليدية قيمتها المعمارية ضمن مبدأ الخصوصية المطلوبة في المسكن .

التوصيات :

١. توعية المجتمع بأهمية العناصر المعمارية التقليدية في المسكن وارتباطها الوثيق بالدين والبيئة المحيطة وتعريفه بمضار الانقياد الأعمى خلف تيارات العمارة الغربية .

٢. ضرورة توجيه الفكر المعماري في اتجاه استنباط أشكال وهيئات جديدة للعناصر المعمارية التقليدية بشكل متكامل مع مبادئ التصميم المعماري له مما يمكن أن يحدث تطورا في نمط المساكن المعاصرة بحيث تتوافق مع التطورات المعمارية المتجددة .

المراجع :

١. إسماعيل ، محمد موسى (١٩٨٩ م) نجارة العمارة. الجهاز المركزي للكتب الجامعية ، مصر .

٢. بن حموش ، مصطفى (٢٠٠٦ م) جوهر التمدن الإسلامي(دراسات في فقة العمران) . دار قابس ، ط١ ، بيروت ، لبنان .

٣. بهنسي ، عفيف (١٩٨٧م) العمارة العربية الجمالية والوحدة والتنوع . منشورات المجلس القومي للثقافة العربية ، الرباط .

٤. حريري ، مجدي محمد (١٤١١هـ) تصميم الروشان وأهميته للمسكن . مجلة جامعة أم القرى ، السنة الثالثة ، العدد الخامس .

٥. حمودة ، ألفت يحيى الطابع المعماري بين التأصيل والمعاصرة. الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة. مصر .

٦. خليل ، ثروت متولي (٢٠٠٠م) المشربيات والرواشين وأثرهما على الفراغ الداخلي . مجلة علوم وفنون ، جامعة حلوان ، القاهرة .

٧. رأفت ، علي (١٩٩٧ م) الابداع الفني في العمارة. اصدار مركز أبحاث انتر كونسلت ، الجيزة ، مصر .

٨. الزيني ، يحيى (١٩٩٠) حسن فتحي الفكر والتطبيق . بحث مقدم لندوة اللقاء الفكري والعلمي عن المعماري الرائد حسن فتحي ، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان .

٩. الطياش ، خالد بن عبد العزيز (١٤٢٧هـ) البيت السعودي المعاصر بين الحاجة والمظهر . مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر ، الرياض ، ط ١

١٠.الطياش ، خالد بن عبد العزيز (١٤٢٧هـ) المعاني والقيم الرمزية في العمارة التقليدية والمعاصرة . مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر ، الرياض ، ط ١

١١.عشي ، عبد المسيح يوسف (١٩٩٩ م) المعايير التصميمية للأفنية الداخلية في العمارة العربية . رسالة دكتوراه ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة ، مصر .

١٢.المرحم ، فريدة محسن عبدالله (١٤٢١ هـ) الروشان والشباك وأثرهما على التصميم الداخلي في بيوت مكة التقليدية في أوائل القرن الرابع عشر الهجري. رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة .

١٣.مغربي ، محمد علي (١٩٨٢م) ملامح الحياة الإجتماعية في الحجاز. الكتاب العربي السعودي ، ط١ ، مكتبات تهامة ، جدة .

١٤.والي ، طارق (١٩٩٢م) نهج البواطن في عمارة المساكن. مطبوعات مركز الهندسة ، البحرين .

١٥. Jomah , hisham(1992m) The Traditional process of Producing A House in Arabia During The 18th and 19th Centuries: A Case-study of Hejaz . PHD Thesis . Department of Architecture . University of Edinburgh .

١٦. موقع مكيون http://www.makkiyoon.com/asp/about.asp